المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـ
الجمهورية العراقية

٤

المجلد الثاني عشر ـ العدد الرابع ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م

WWW.ATTAWEEL.COM

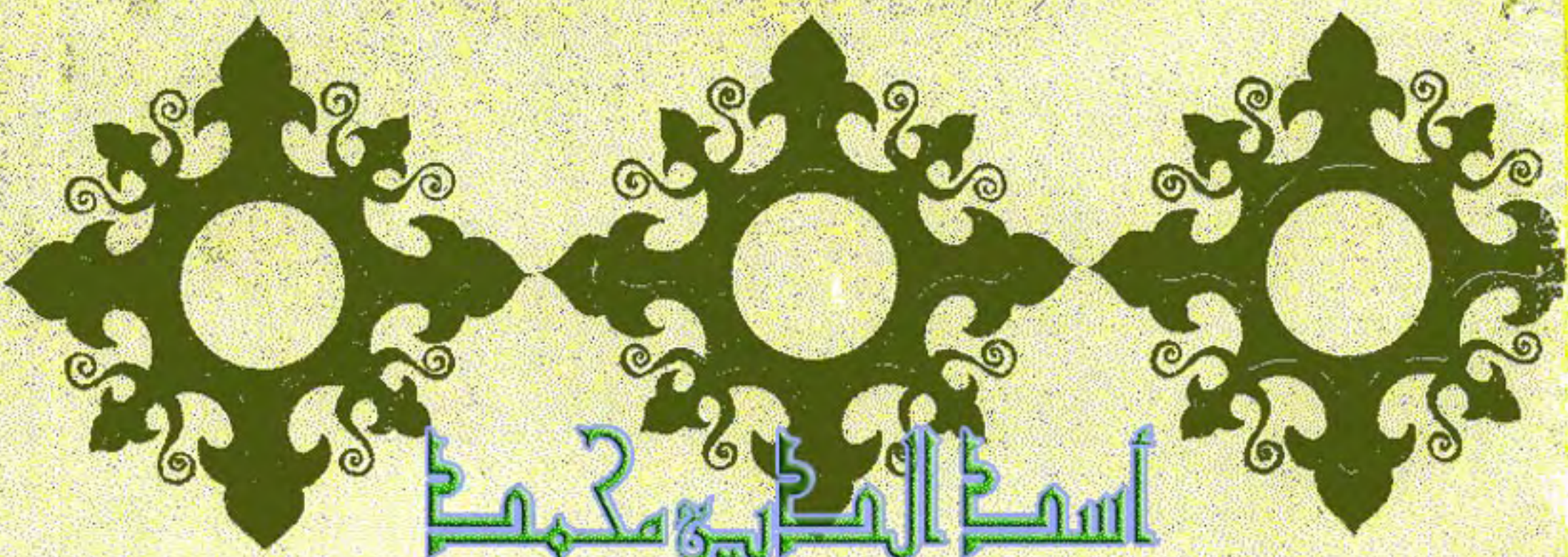

أسد الدين محمد

عدد خاص

الفكر العسكري عند العرب

نظم التعبئة عند العرب

الرائد

عبد الجبار محمود السامرائي

دائرة التوجيه السياسي - وزارة الدفاع

بغداد

المقدمة

كانت كلمة (التعبئة) هي التي تعبر عن كل مايقوم به الجيش من تحركات استراتيجية وتكتيكية لوضعه في وضع القتال(١) وقد اطلق قدامى المؤرخين من العرب على هذه المعاني (**التعبئة**) ويقصدون بها تنظيم الجيوش ، وصف الكتائب في المعركة او قبلها . فتعبير « عبا » عندهم ساو لتعبير (نظم) ، لانهم ما كانوا يعرفون هذا التقسيم الحديث ، وان عملوا بمقتضاه في حروبهم(٢) .

ان نظام التعبئة ، يختلف باختلاف العقيدة القتالية للجيش ، وبحسب عدده وتسليحه ، والظروف التي يعمل فيها ، وغير ذلك من العوامل . وقد تطورت انظمة التعبئة عند العرب ، متاثرة بجميع هذه العوامل ، حيث نرى الجيش العربي ، ياخذ باديء ذي بدء ، بنظام « الكر والفر » ثم تركه الى نظام « الصف » فنظام « الكراديس » ونظام « الانفتاحات » (٣) ونظام الخميس .

نظام الكر والفر

الكر والفر : يعني (الاغارة) **والاغارة** : هي عمل قوة خاصة يتم تسليحها وتدريبها بشكل

(١) المقدم ياسين سويد : معارك خالد بن الوليد ص٩٢-٩٣

(٢) عبد الرؤوف عون : الفن الحربي في صدر الاسلام ص٢٠٦ .

(٣) احسان هندي : الحياة العسكرية عند العرب ص٢٤٦ .

ص ، تنفيذ واجب محدد . وتعتمد الاغارة على مل « المباغتة » لتوجيه ضربة قوية ، لتنفيذ المهمة سرعة ، قبل ان يتمكن الخصم من القيام بردود ل منظمة(٤) .

ولقد كان العرب قبل الاسلام يتقنون عمل غارة (الكر والفر) ويمارسون جميع اعمالهم تالية ضمن مفهومها . وان معارك العرب وايامهم بري ، قد نفذت ضمن اطار تجمع للقبائل ولكن فهوم الاغارة .

وعندما تطور الامر بعد الاسلام ، بدات مليات الهجومية لكتب طابع « الصدمة »، لم خل العرب عن اسلوبهم التقليدي ، وبذلك تميزت مالهم القتالية بالمرونة ، وتابعوا استخدام الاغارة كل موقف ملائم ، وكانت ضرباتهم المباغتة ، عاملا بسيا في تحطيم ارادة القتال عند خصومهم .

وقد وضع العرب المسلمون من خلال صراعهم طويل وتجاربهم القتالية الثرية ، الاسس والقواعد اجب تطبيقها لنجاح الاغارة ، واخذها عنهم الروم بيزنطيون) والغربيون والتزموا بتطبيقها(٥) .

اذن ، فنظام « الكر والفر » معناه : ان يحمل ماتلون على العدو بكل قوتهم ، فاذا انهزم العدو مهم طاردوه ، وانتهت المعركة . اما اذا صمد جههم ، واحسوا هم بالضعف ، فانهم كانوا سحبون الى الخلف لاعادة التنظيم ، ثم يعاودون

(٤) الموسوعة العسكرية جـ١ ص٢٧ مادة (اغارة) .

(٥) نفس المصدر ص٩٩ .

WWW.ATTAWEEL.COM

الهجوم على العدو كرة اخرى . وهكذا يعيدون الكرة بعد الكرة ، حتى يكون النصر حليفهم(٩) .

وكان هذا النظام يسمى عند العرب ايضا بـ (الرجمة بعد الجولة) او (الكرة بعد الفرة) ، والفرش من الجولة ، ان تعرف القبيلة المنسحبة في الفرار ، لانهم كانوا يصفون جندهم على اساس قبلي ، فيعين القائد لكل قبيلة مركزها ، ويجتمل زعيمها قائدها ، لتتبارى القبائل في اظهار بطولتها(٧) .

وكان هذا النظام يستوجب لديهم في كثير من الاحيان ، اللجوء الى طريقة معينة ، تجبرهم على عدم الهرب نهائيا من ساحة المعركة ، وتسمى هذه الطريقة ((**اتخاذ المجبوذة**))(٨) ومعناها : عزم ان يترك العرب ابلهم وظعائنهم خلفهم ، ليعودوا اليها عند كل كرة ، ويروا نسائهم وصبيانهم وذوقهم ، فتذهب حماستهم من جديد ، ويعيدون الحملة على العدو .

وقد عرف بعض المؤرخين القدماء هذا النظام تحت اسم : ((**ضرب المصاف**)) حيث نجد (ابن خلدون) يقول في مقدمته : (ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحروب ــ ضرب المصاف ــ وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات العجم ، فيتخذونها ملجأ للخيالة في كرهم وفرهم ، يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون ادوم للحرب واقرب للغلب)(٩) .

وقد اتخذ العرب « المجبوذة » في اغلب حروبهم قبل الاسلام وعهد الرسول (ص) فتراهم قد استخدموها مثلا في معركة (ذي قار) سنة ٦٥م ؛ حيث بادر قائدهم الاعلى (حنظلة بن ثعلبة العجلي)؛ وقطع احزمة الهوادج ، فسقطت على الارض ، وقال : «ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته» ثم ضرب قبة على نفسه واقسم أن لا يفر حتى تفر القبة . وحذا بقية رفاقه حذوه ، فتشكل شبه معسكر ضخم خلف جيش القبائل العربية ، والتجأت الى هذا المعسكر النساء العربيات اللواتي كن يردفن مع امراة من بني عجل الاهزوجة التالية ، كلما شاهدن رجالهن قد تراجعوا :

ان تهزموا نعانق
ونفرش النمارق
او تهزموا نفارق
فراق غير وامق

وكان من الطبيعي ان يكر فرسان العرب باتجاه العدو لما كانوا يصلون الى مكان ظعنهم ، ويسمعون اصوات نسائهم وهن يهزجن لهم .

وهكذا نرى ان « المجبوذة » كانت ذات اهمية كبرى في حروب العرب الاولى التي كانت تعتمد على نظام الكر والفر بشكل خاص(١٠) .

نظام الصفوف

لم يخرج العرب المسلمون ، في اول امرهم ، عن مبادىء القتال التي عرفوها قبل الاسلام . الان طموح قادتهم . والنبي (ص) على رأس هؤلاء القادة جعلهم يفتشون ، وهم قلة ، عن الوسائل التي تقودهم الى النصر على الكثرة المشركة . ويعتبر ترتيب المقاتلين صفوفا اول تجديد اوجده الاسلام في التكتيك العسكري عند عرب الجزيرة ، اذ اخذت الآية الكريمة « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كالبنيان المرصوص » والحديث الشريف : «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» بمعناها المادي البحت ، فرصت صفوف القتال رصاً(١١) واقترن نظام الصف بتعديل آخر هام في نظام الكر والفر ، اذ اتخذ نظام الصف بتعديل آخر هام في نظام الكر والفر اذ اتخذ نظام (الكر دون الفر) بديلا . وكان ذلك من اهم اسباب انتصار الاقلية المسلمة على اهل الكر والفر من خصومهم الكثر في الجزيرة العربية . اولئك الذين فوجئوا بالتكتيك الجديد في القتال ، تكتيك لا عهد لهم به ، ولا دراية . فقد تعود اصحاب الكر والفر ان يؤمنوا الفر قبل المبادرة بالكر . اما المسلمون ، فقد الغوا الفر الغاء تاما ، فكان ذلك مفاجأة صاعقة لخصومهم . وكانت « بدر » سنة ٢ هـ اول معركة طبق المسلمون فيها هذا النظام الجديد في القتال ، فكان المقاتلون في عهد النبي (ص) يرتبون صفوفا تسوى كما تسوى صفوف الصلاة ويزحفون نحو العدو دون فكرة تراجع ، جاعلين خلفهم ابلهم ونساءهم واولادهم واحمالهم كحاجز معنوي يمنعهم من الفرار او التقهقر .

---

(٦) الحياة العسكرية عند العرب ص٢٤٦ .
(٧) الطبري : تاريخ الامم والملوك ٢٤٩/٢ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١١٩/٢ ، الفن الحربي ص٢٣٩ .
(٨) الجندية في الدولة العباسية ص٢٢٥ ــ ٢٢٦ ، الحياة العسكرية ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧ .
(٩) ابن خلدون : المقدمة ص٣٢٠ و مابعدها ، الحياة العسكرية ص٢٤٧ .
(١٠) الحياة العسكرية ص٢٤٧ و٢٤٨
(١١) معارك خالد بن الوليد ص٩٩ .

ويروى ان النبي (ص) كان يستعرض الصفوف قبل القتال ، فيسويها ، وقد استعرضهم (ص) يوم بدر الكبرى ، فاشار الى (سواد بن غزية) ، وقد ظهر ناتئا امام صفة ، فقال له :(استو يابن غزية)(١٢)

وكان النظام المتبع عند العرب المسلمين ان يصفوا كل جزء من اجزاء الجيش صفوفا منتظمة، كانها صف الصلاة ، بحيث لا يتقدم احد من مركزه او يتاخر الا بامر القائد ، فان فعل ، عرض نفسه للعقاب البدني وغيره ،وكان النبي (ص) يمسك بيده عصا قصيرة ، يسوي بها صفوف اصحابه ، وكان (علي بن ابي طالب) (رض) يرتبهم في الصفوف كانما يغرسهم في الارض غرسا فيثبتون كانهم بنيان مرصوص(١٣) .

وينبغي هنا ان يتدبر المرء التشابه التام بين نظام المقاتلين في الميدان ، ونظام صلاة الجماعة بالمسجد ، ففي كلتا الحالين ـ تسوى الصفوف بدقة ويسود الصمت ، ولايرتفع الصوت الا بالتكبير وتسد ثغرات الصف الاول من الصف الذي يليه ، ويخضع المصلون لاشارة الامام خضوع الجند لامر القائد ، الى غير ذلك من غض النظر ، وذكر الله واستشعار خشيته(١٤) .

ولتطبيق هذا النظام ، اي نظام الصفوف ، كان الرسول محمد (ص) يامر جنده ان يجتمعوا في صف او ثلاثة كصفوف الصلاة ، حيث كان يجعل في الصف الاول حاملي الرماح لصد هجمات الفرسان ، ثم يليهم حاملو السهام والسيوف في الصفين الثاني والثالث ، ويقف الفرسان على ميمنة الجيش وميسرته(١٥) فاذا التقى الجمعان ، بعد عدد من المبارزات الفردية ، زحفت صفوف المسلمين قدما واحدة واصطدمت بالعدو بدون كر ولا فر ، ولذا دعي هذا النظام باسم اخرهو (نظام الصف)(١٦)

ولما تكاثر المسلمون وتنوعت اسلحتهم وازدهر فنهم الحربي ، صاروا يجعلون الجند على صفوف يختلف عددها باختلاف تسليحها ، مع مراعاة ابقاء الدارعين امام الحاسرين ، مع التمسك بعادة « ضرب المصاف او اتخاذ المجبوذة » لتكون بمثابة دافع يدعوهم للاستماتة في القتال والثبات بوجه العدو(١٧) .

اما عن ترتيب الصفوف ، فقد ذكره الطبري في تاريخه ، ان كل قسم من اقسام جيش سعد بن ابي وقاص يوم القادسية ، ضم ثلاثة صفوف :

ا ـ الصف الاول : وقف فيه الفرسان .

ب ـ الصف الثاني : وقف فيه الرجالة (اي المشاة) اصحاب الرماح والسيوف .

جـ ـ الصف الثالث : وقف فيه الرماة حملة الاقواس(١٨) .

اما (ابو عبيدة) فقد نظم جنده يوم اليرموك ثلاثة صفوف ايضا ، ولكنه لم يجعل الفرسان في صف واحد ، كما صنع (سعد بن ابي وقاص) يوم القادسية ، وانما قرنهم على الصفوف الثلاثة بحيث يقفون على الاجناب ، لمنع اي حركة التفاف سريعة عليه ، عند سنوح الفرصة(١٩) .

وكذلك اعتاد القائد الاموي (عتاب ابن ورقاء) عندما كان يحارب (شبيبا)الخارجي ، ان يصف جيشه ثلاثة صفوف ، فيجعل اصحاب السيوف في صف ، واصحاب الرماح في صف ، والرماة في صف. ولكن (ابن الاثير)الذي روى هذا الخبر في حوادث سنة ٧٧ هـ لم يوضح لنا من كان من القوات في الصف الاول ، ومن كان في الصفوف التالية ، كما وضح الطبري في روايته السابقة(٢٠) .

وكانت للصفوف اشكال اوانواع ،حيث تعرف مهارة القائد التعبوية (التكتيكية) بحسن توزيعه لقواته في الميدان واختيار نوع الصف المناسب لطبيعة ارض المعركة . وفي الحروب الحديثة : يصف بعض القادة جيشه على شكل حرف T وبعضهم على شكل هلال ☾ وبعضهم على شكل راس السهم ⍋ وهي تشكيلات لا تعتبر في الواقع حديثة ، فان العرب المسلمين استخدموها منذ القرن الثاني للهجرة ، بدليل ان (الهرمشي) ـ وهو من قواد ذلك القرن ـ شرحها في كتابه المخطوط (مختصر في سياسة الحروب : الورقات ٢٠ ـ ٢٥) فقسمها الى ثلاثة انواع ، وسماها صفوفا :

---

(١٢) معارك خالد بن الوليد ص ٩٩ ـ ١٠٠ .
(١٣) الفن الحربي ص٢٣٨ .
(١٤) الفن الحربي ص٢٣٨ .
(١٥) الحياة العسكرية ص٢٤٨ .
(١٦) مقدمة ابن خلدون ص٢٢٢ ، الحياة ، العسكرية ص٢٤٩.
(١٨) الحياة العسكرية ص٢٤٩
(١٩) الفن الحربي ص٢٤٠ .
(٢٠) نفس المصدر ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

أ ـ الصف المستوي :

وهو الذي يكون فيه الجناحان والقلب على خط مستقيم ، وتبقى (الساقة) و (المصاف) في الخلف ، وهذا مايجعله يشبه التشكيلة الحديثة التي تشبه شكل حرف T وهو اوفق الصفوف وانسبها للعرب . ولم يذكر الهرثمي فيه قوات احتياطية خلفية كالتشكيل الحديث(٢١) .

ب ـ الصف الهلالي :

يشبه الهلال او حرف (ب) ويكون القلب فيه متاخرا عن الميمنة والميسرة(٢٢) وهو **الخارج الجناحين الداخل الصدر** ، وهو اوثق للقلب واضعف للجناحين ، ولذا كانوا يصيرون مع كل طرف من الجناحين الخارجين كردوسا من الخيل لتساعده وتحميه(٢٣) .

جـ ـ الصف المطوف :

وهو الداخل الجناحين الخارج القلب ، وهو اضعف للقلب واقوى للجناحين (وهو راس السهم الحديث)(٢٤) او ما يمكن تسميته بـ (تشكيلة المروحة) التي تستخدم في قتال الجماعة(٢٥) .

وفي هذا النظام يجعلون اهل الباس والنجدة في الميمنة والميسرة ليكون ذلك تقوية للقلب ، فان لم يمكن ذلك ، عمدوا الى تقوية القلب بكردوسين من الخيل ، بحيث يكونا امامه قليلا ، يردان عنه اي هجوم . وكان الصف المطوف يختص في كل مؤخرة كل تشكيل من هذه التشكيلات ، مكانا للاستمعة ، ومكانا للصلاة ، عليها حراس اشداء في العدة والسلاح ، وجماعة من الفرسان لاقتراض غرة العدو ، او سد الخلل ، ان كان عند الجولة(٢٦) .

وكان لاخذ الجيش العربي الاسلامي بنظام الصف فوائد شتى ، حتى ان بعض المؤرخين اعتبره من جملة اسباب انتصارهم في معارك العهد النبوي والراشدي(٢٧) وقد حدد (ابن خلدون) فوائد هذا النظام بثلاث :

(٢١) الفن الحربي ص ٢٤٢ ، الحياة العسكرية ص ٢٤٩ .
(٢٢) الحياة العسكرية . ص٢٤٩ .
(٢٣) الفن الحربي ص٢٤٣ .
(٢٤) نفس المصدر .
(٢٥) الحياة العسكرية . ص٢٥٠ .
(٢٦) الفن الحربي ص٢٤٣ .
(٢٧) الحياة العسكرية ص٢٥٠

١ ـ تكون الصفوف اثبت عند المصارع واصدق في القتال :

اي ان هذا النظام يتلاءم مع متطلبات الترتيب العمقي ، مما لايدع مجالا لقيام العدو بعملية خرق في الجبهة .

٢ ـ ارهب للعدو لانه كالحائط الممتد والقصر المشيد الذي لايطمع في ازالته :

اي ان هذا النظام يجعل بوسع القائد الاحتفاظ بالصف الاخير كاحتياط يزجه في المكان المناسب عند الحاجة ، او بتكليفه بمهمة الهجمات المعاكسة .

٣ ـ وان المقصود منه حفظ النظام :

اي ان هذا النظام يؤمن تحقيق مبدا السيطرة اكثر من نظام الكر والفر(٢٨) .

هذا والذي اتفق عليه المؤرخون ، قدامى ومحدثين ، ان العرب لم يبطلوا نظام الصف الا في عام ١٢٨هـ/٧٤٦م ، حيث امر (مروان بن محمد) بابطاله واتباع نظام الكراديس(٢٩) .

نظام الكراديس

الكردوس : كلمة ذات اصل يوناني Koortis واغلب الظن ان الروم اخذوها ، كما اخذوا سواها من التنظيمات العسكرية ، عن اليونانين ، وهي تعني : فرقة من الجيش او كتيبة يراوح عددها بين ستما ئةرجل (عند الروم)(٣٠) والف رجل عند (المسلمين)(٣١) .

(٢٨) ابن خلدون : المقدمة ص٢١٩ ، الحياة العسكرية ص٢٥٠
(٢٩) الفن الحربي ص٢٤١ .
(٣٠) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي جـ ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ (قسم الرومان الفرق كراديس ، وجعلوا الكردوس ثلاثة اقسام وكل قسم فصيلتين عدد رجال كل منهما مائة رجل) معارك خالد بن الوليد ص١٠٤ .
(٣١) الفن الحربي ص١١٥ (وقد ورد في كتاب « مختصر سياسة الحروب » للهرثمي الشعراني ـ تحقيق عبد الرؤوف عون ـ ذكر « الكردوس »ص٣٤ ـ ٣٥ دون تحديد جنده ، الا ان المحقق اوضح في الحاشية رقم/٥ من الصفحة /٣٤ ان الكردوس هو الجماعة من الخيل فوق المائة ولا نعلم ـ والكلام للمقدم ياسين سويد ـ اذ اذا كانت هذه الحاشية من صلب كتاب الهرثمي او توضيحا من المحقق . فان كانت توضيحا منه فربما تناقضت مع ما ورد عن عدد الكردوس في كتابه « الفن الحربي » ص ١١٥ . راجع (معارك خالد بن الوليد) ص ١٠٤ الهامش الثاني .

وتنقسم هذه الفرقة الى اجزاء عشرية، فالعريف يامر عشرة رجال ، وآمر الاعشار يامر عشرة عرفاء ،(اي مائة رجل) ، وقائد الكردوس يامر عشرة من امراء الاعشار ، اي الف رجل(٢٢) .

وقد اجمع المؤرخون على ان خالد بن الوليد هو اول من استعمل التعبئة بالكراديس واعتبر صنيعه هذا فتحا جديدا في الفن العسكري العربي وسميت التعبئة التي عبأ جيشه على اساسها باسمه : « التعبئة الخالدية) . وقد فعل ذلك لاول مرة في معركته الشهيرة ضد الروم (اليرموك) في (١١ ايلول سنة ٦٣٤) اذ قسم جيشه ثمانية وثلاثين كردوسا ، وقيل ستةوثلاثين ، مع المحافظة على (نظام الخميس) في ترتيب الجيش . ولم يتخل العرب بعد اليرموك ، وبعد خالد ، عن نظام الكراديس ونظام الخميس مجتمعين ، فيما خاضوه بعدها من حروب(٢٣) .

والجدير بالذكر ، ان خالد بن الوليد ، لجأ الى تعبئة الكراديس ، بعد ان لاحظ اثناء حروبه في العراق ضد المحتلين الفرس ، صعوبة السيطرة على المقاتلين في جيشه حسب نظام الصفوف الانفة الذكر(٢٤) .

وقد نفذ خالد هذه الفكرة في مرحلة الاشتباكات الاولى مع الروم ، وذلك بان قسم جيشه الذي كان تعداده اربعون الف مقاتل ، الى اربعين كتلة ، تعداد كل منها حوالي الف رجل ، واطلق على الواحدة من هذه الكتل اسم (كردوس) .

اما لماذا جعل خالد بن الوليد عدد الكردوس حوالي الف رجل ، فليتمكن من ان يقاتل منفردا اذا لزم الامر ، وقد اختار رجال الكردوس الواحد من المتعارفين بعضهم الى بعض ، وممن يعودون باصلهم الى قبيلة واحدة اواكثر ، وانتقى (امير الكردوس) من رؤساء القبائل المشتركة فيه .

وقد استتبع هذا النظام تقسيم الكردوس الى عدة وحدات اصغر منه ، وتسليم قيادتها الى رجال معروفين بالشجاعة في الحرب ، والكلمة النافذة في القبيلة .

ولم يكتف خالد بن الوليد بذلك ، بل قام رغبة منه في تحقيق قدر اكبر من السيطرة على قواته ، بجمع الكراديس الى بعضها حسب نظام الخميس ، بحيث جعل كل عشرة منها في تعبئة واحدة وذلك على النحو التالي :

أ ـ **امير التعبئة الاولى** : ابو عبيدة بن الجراح على كردوس القلب .

ب ـ **امير التعبئة الثانية** : عمر بن العاص ، ويساعده شرحبيل بن حسنة ، على كراديس الميمنة .

جـ ـ **امير التعبئة الثالثة** : يزيد بن ابي سفيان ، على كردوس الميسرة(٢٤) .

ووزع الكراديس العشرة الباقية على (الطلائع) (والساقة)(٢٥) .

وقد حقق نظام الكراديس نصرا كبيرا على الاعداء ، تجلت فيه عبقرية خالد العسكرية ،وخاصة فيما يتعلق بالتنظيم والسيطرة اثناء القتال(٢٦) .

وقد عمل بهذا النظام ايضا (خالد بن سعيد) في تحرير الشام ، كما عمل به (سعد بن ابي وقاص) يوم القادسية(٢٧) .

وعلى الرغم من نجاح نظام الكراديس ، الا ان العرب لم تتخذه قاعدة في حروبها الا في سنة ١٢٨هـ (٧٤٥ م) وذلك في عهد (مروان بن محمد) وحارب جميع خصومه ، ومنهم (الضحاك بن قيس الخارجي الحبيري) ، بنظام الكراديس المستحدث(٢٨) .

على ان بعض المتزمتين ، اعتبروا العدول عن نظام الصف الى نظام الكراديس بدعة في الاسلام ، فظلوا يرتبون جندهم في الحرب حسب نظام الصف ومنهم (ابراهيم الامام) و (الامين) وكانت النتائج طبعا هي الهزائم امام نظام الكراديس(٢٩) .

نظام الخميس

عرف العرب المسلمون نظام (الخميس) ، اذ اخذوا يعبئون جيوشهم في خمسة اجزاء .. هي :

أ ـ **الطليعة** : وتكون في مقدمة القلب من الجيش(٤٠) وتكلف بصد هجمات العدو الجبهية من جهة،

---

(٢٢) معارك خالد بن الوليد ص ١٠٤ .
(٢٣) الحياة العسكرية ص٢٥٠ (بتصرف) .
(٢٤) الحياة العسكرية ص٢٥٢ .
(٢٥) نفس المصدر السابق ص٢٥٣ .
(٢٦) نفس المصدر ص٢٥٢ .
(٢٧) الفن الحربي ص ٢٤١ .
(٢٨) الحياة العسكرية ص٢٥٢ .
(٢٩) نفس المصدر ص٢٥٢ ، الفن الحربي ص٢٤١ ـ ٢٤٢ .
(٤٠) الجندية في الدولة العباسية ص٢٢٠ .

وباستطلاع الارض ومكامن القوات المعادية من جهة ثانية ، وذلك بواسطة مفرزة (الطلائع). و (الطلائع) في وحدات صغيرة تضم اصحاب الخيول السبق الماهرين في الرمي والطراد ، وعليها ان تتقدم الجيش وتتعرف على الطريق وترتاد المواضع وتحدد اماكن القوات المعادية في حال وجودها[٤١] .

ب ـ **الميمنة** : وتكون على يمين (القلب) ، وتكلف بحماية الجناح الايمن لمجموع التشكيل[٤٢] .

جـ ـ **الميسرة** : وتكون على يسار القلب ، وتكلف بحماية الجناح الايسر لمجموع التشكيل[٤٣] .

د ـ **القلب** : وهو (القسم الاكبر) للقوات ؛ لانه مقر القائد العام ، ورماية الاسلام ، ومكانه في الوسط[٤٤] وكان القائد العام ، ينتقل من موضع الى اخر ، ويرتب اصحابه ، والاخبار والرسل تأتي الى نائبه تحت العصائب ، وهو ـاي النائب ـ بمنزلة (ضابط الركن)باصطلاح العسكر المعاصر وهو يسردف كل مكان ـ كثر العدو فيه ـ بطائفة من عساكره كما يقول صاحب آثار الاول في ترتيب الدول فهو بهذه الحالة متصل بأجزاء الجيش كلها ؛ ومحافظ على الارتباط بامراء التعبئة وخلفائهم ومشرف على سير المعركة ومقدر المواقف التعبوية حق قدرها ، ولذلك فانه يستخدم احتياطه في الاماكن الضرورية ، ويكثف قواته لمقاومة صدمة العدو[٤٥] .

هـ ـ **الساقة** : تسير خلف الجيش ، وتضم عناصر الشؤون الادارية ، ومفرزة للحماية ، ويطلق عليها ايضا اسم (الروعة)[٤٦] ويصطلح اليوم على تسمية (الساقة) او (المؤخرة) (القدمة . ب) في الجيوش الحديثة .

وقد ظل العرب على هذه التعبئة طيلة حروبهم مع الكثير من الابداع والتجديد .. ومع الكثير من فن البراعة في فن المناورة[٤٧] .

وقد حدد (الهرثمي) في كتابه (مختصر في سياسة الحروب) ص٤١ ـ ٤٢ عمل الجيش (الخميس) عند التقاء الزحفين فقال :

١ ـ عمل الميمنة : ان يبدأوا بالحملة على ميسرة عدوهم ، ليغلبوهم على العسكر او يزيلوهم عن مراكزهم .

٢ ـ عمل القلب : ان يمد مجنبتيه ولا يتحرك الا في اتباع عدوه اذا ولى او لدفعه اذا اقبل

٣ ـ عمل الميسرة : ان يقفوا بمكانهم ، ويمنعوا من الدخول عليهم ، ولا يدفعوا ارضهم ؛وليس عليهم ان يحملوا ماوجدوا من ذلك بدا .

٤ ـ المبارزة على اصحاب الميمنة والقلب ، ولا يبارز من الميسرة ، ان بارز ، الامن كان ايسر[٤٨] .

وقد اهتدى قادة العرب المسلمين الى نظام الخميس منذ عام ١٤هـ (٦٣٤م) ، اي منذ انطلاقه جيوشهم الاولى خارج الجزيرة العربية ، حيث وجدوا انهم اذا رتبوا جيوشهم اثناء المسير بالارتال المتعاقبة او المتجانبة ؛ اصبح من المتعذر السيطرة عليها وتبليغها مختلف التعليمات والاوامر ، وانهم اذا تركوها على شكل كتلة فانهم لا يأمنون مباغتة العدو او كمائنه ودورياته ، ولهذا عملوا على تقسيمها الى اقسام خمسة[٤٩] .

وقد استخدم (نظام الخميس) في حالات المسير طوال العهود الاسلامية ، وذلك لانه يقلل الى ادنى حد ممكن من الخسائر في حالة مباغتة العدو للجيش العربي في مسيرة . كما استخدم نظام الخميس ايضا في حالة الدفاع الدائري عند تطويق قوات العدو للقوات العربية من جميع الجهات ، وذلك بمركزة القلب في الوسط ، ونشر بقية القوات كل على حدة لتشكيل نقطة استناد مغلقة ؛ مركزها القلب ، ثم بث مغارز الرصد والحماية والدوريات لتشكيل نطاق أمن يحيط بنقطة الاستناد بكاملها . وقد اتصف هذا النظام الدفاعي بدرجة كبيرة من المرونة ، اذ انه يترك للقائد الفرصة الكاملة للقيام بالهجوم المعاكس ، بواسطة القوات المتمركزة في الجوانب غير المهددة[٥٠]

وتتميز تشكيلة الخميس عن غيرها من تشكيلات القتال القديمة بخصائص كثيرة ،ابرزها:

---

(٤١) الحياة العسكرية ص٢٢٠

(٤٢) الحياة العسكرية ص٢٢٠ .

(٤٣) الحياة العسكرية ص٢٢٠ .

(٤٤) الحياة العسكرية ص ٢٢٠ .

(٤٥) الجندية في الدولة العباسية ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٤٦) الحياة العسكرية ص٢٢٠ .

(٤٧) معارك خالد بن الوليد ص١٠٠ .

(٤٨) ملخصة في كتاب معارك خالد بن الوليد ص١٠٠ .

(٤٩) الموسوعة العسكرية جـ٢ ص١٦٩

(٥٠) الحياة العسكرية ص٢٢٠ ـ ٢٢٢ ، الموسوعة العسكرية ص١٦٩ .

١ ــ توفير عامل السيطرة على القوات .
٢ ــ تامين عامل المباغتة بزج قوات من العمق .
٣ ــ توفير عامل الحماية وامن القوات .
٤ ــ الانتقال من تشكيلة التقدم او المسير الى تشكيلة القتال ضمن افضل الشروط بسبب توزيع عناصر الحيطة والاستطلاع والعناصر الوقائية .

ولقد كانت تشكيلة الخميس بمثابة تطور تكتيكي (تعبوي) متقدم لازال محافظا على اهميته في ظروف المعركة الحديثة للاسلحة المشتركة ؛ مع الاختلاف في توزيع القوى والوسائط ؛ ويعود السبب في ذلك الى معارك العرب والمسلمين التي كانت معارك تصادمية تدور في اطار حرب الحركة ، وان هذه المعركة قد عادت للظهور بكل ابعادها في اطار الحرب بالوسائط الالية (الميكانيكية) في عصرنا الراهن .

لقد كانت اعداد قوة الفرسان (الخيالة) كبيرة في جيوش العرب المسلمين ، واكبر في كثير من الاحيان من قوة المشاة . وكان يقع على عاتقها حماية الجناحين الايمن والايسر للخميس . وكان توزيع الخميس على الجبهة وفي العمق يضمن لقوات العرب المسلمين تلك المرونة الحركية العالية التي ساعدتها على تحقيق انتصاراتها الساحقة .

واذا كان العرب المسلمون قد ابتكرو اشكالا مختلفة لترتيبات الخميس في القتال ، الا ان هناك صفة مميزة لهذه التراتيب القتالية ، وهي : وجود الرغبة بتطويق العدو ؛ والتصميم على القتال حتى في ظروف التطويق(٥١) كما يظهر بوضوح الميل الى الاخذ بالاشكال الهندسية المختلفة . كما يلاحظ في هذه التراتيب فكرة الحركية والفاعلية التي تكمن في معظم اشكالها(٥٢) .

وقد تاثرت اوربا الغربية بفن الحرب العربي، وخاصة بالنسبة الى ترتيبات (الخميس) ، والطرائق العملياتية لخوض المعركة ، واسلوب عمل الخيالة فيه ، نظرا لما تميزت به هذه الخيالة من انضباط وسرعة عالية ، وقدرة على المناورة ؛ بينما كانت الخيالة الغربية آنذاك ثقيلة ، بطيئة الحركة .

وبذلك كان ابتداع تشكيلة الخميس ، البرهان على ان قادة العرب المسلمين الاوائل ، وعوا بوضوح ضرورة التوافق بين الفكر الاستراتيجي والفكر العملياتي ، وطريقة استخدام خصائص القوى والوسائط بأكبر فاعلية ممكنة(٥٣) .

نظام الانفتاحات

ولما أتقن العرب اساليب الحرب ؛ وتمرسوا في فنونها ؛ أخذ قادتهم يدخلون التعديلات التي تقتضيها الضرورة على النظم السابقة ؛ وذلك بالاستناد الى تجاربهم الشخصية في الحروب التي خاضوها ؛ او اقتباسا عن المؤلفات العسكرية التي كتبها علماء العرب او ترجموها عن اللغات الاجنبية . وقد خرجوا من كل ذلك بنظام يقتضي انفتاح الوحدات عن بعضها بالجبهة والعمق ؛ حسب التشكيلات الهندسية المعروفة . ولذا اطلق عليه نظام الانفتاحات(٥٤) وقد طبق العرب هذا النظام بعدة تشكيلات هي :

١ ــ **الهلال المركب** : وهو ان يكون الى جانبي الهلال هلالين كانهما جناحان(٥٥) وتشبه تشكيلة (الصف الهلالي) التي المعنا اليها آنفا ،مع اضافة هلالين صغيرين الى جانب الهلال الاصلي ، ليكونا بمثابة جناحين له(٥٦) .

٢ ــ **الهلال المرسل اوالحاد** : وهو بسيط مثل هلال السماء ، وهي التعبئة التي اعتمدها خالد ، والتي اشرنا اليها آنفا(٥٧) .

---

(٥١) التطويق : هو الوصول الى مجنبة ومؤخرات العدو ، واحاطة قواته بسلسلة متماسكة من القوات قادرة على قطع خطوط مواصلاته ، وضربه من جميع الجهات ، واجباره على تشتيت جهوده بالقتال جبهيا وعلى جبهة معكوسة بآن واحد .
ويتم التطويق بعد نجاح عملية الالتفاف او الاحاطة سواء كان الالتفاف او الاحاطة من جانب واحد او من جانبين (كماشة) ..
ويستهدف التطويق عزل جزء من قوات العدو ، واعداد الظروف المادية والمعنوية لتدميرها . وهو لا يتحقق الا اذا تمت حركة الالتفاف او الاحاطة بسرعة ، وبشكل خفي ، وقبل ان تتمكن القوات المعرضة للتطويق من الانسحاب خارج حلقة التطويق .
ــ الموسوعة العسكرية ــ جـ١ ص٢٨ .

(٥٢) الموسوعة العسكرية ــ جـ٢ ص١٦٩ .
(٥٣) الموسوعة العسكرية جـ٢ ص١٦٩ ــ ١٧٠ .
(٥٤) تاريخ التمدن الاسلامي جـ١ ص١٨٧ ــ ١٨٨ ، الجندية في الدولة العباسية ص٢٤٧ ، الحياة العسكرية ص٢٥٢ ــ ٢٥٤ .
(٥٥) الجندية ص٢٤٨ معارك خالد ص١٠٢ .
(٥٦) الحياة العسكرية ص٢٥٤ .
(٥٧) معارك خالد بن الوليد ص١٠٢ .

٣ ـ **الهلال المقلوب** : وهو عكس الهلال المرسل او الحاد(٥٨) .

٤ ـ **المعين** Losange او المربع المنحرف(٥٩) .

٥ـ ـ **المثلث** .

٦ ـ **الدائرة المزدوجة** : وهي دائرتان ، احداهما داخل الاخرى . وكانوا يعمدون الى هذا الضرب من التعبئة . اذا كان جندهم قليلا وجند عدوهم كثيراً(٦٠) .

وكانت تتخذ هذه الدائرة في حالات الدفاع الدوائري(٦١) .

٧ ـ **المربع** : كان يؤخذ هذا الشكل في حال نقص عنصر الخيالة في الوسط ليدعموا الجناح المهدد(٦٢) .

وفي كل من هذه الاشكال السبعة كان الجيش يترتب حسب نظام الخميس(٦٣) .

وقد حددت الكتب التي الفها العرب في«الفنون الحربية »بمعرض بحثها في (اشكال التعبئة) ، الاحوال التي يجب اتخاذ كل واحدة من هذه الانفتاحات فيها ، وذلك حسب عدد العدو وتسليحه وحسب طبيعة الارض(٦٤) وقد ذكرت هذه الكتب ذاتها ، بعض « **الايعازات** » التي كان القادة العسكريون يتلفظون بها لينفذ الجند احدى هذه « الانفتاحات » ، أو لينتقلوا من احداها الى اخرى وهاهي بعضها :

١ ـ الميل
٢ ـ الانقلاب
٣ ـ الانتقال
٤ ـ تسوية الانتقال
٥ ـ استدارة صغرى
٦ ـ استدارة كبرى
٧ ـ تقاطر
٨ ـ اقتران
٩ ـ رجوع الى الاستقبال
١٠ـ استدارة مطلقة
١١ـ اضعاف
١٢ـ اتباع الميمنة
١٣ـ اتباع الميسرة
١٤ـ جيش منحرف
١٥ـ جيش مستقيم
١٦ـ جيش مورب .
١٧ـ رض
١٨ـ تقدم
١٩ـ حشو
٢٠ـ رادفة
٢١ـ ترتيب بعد ترتيب(٦٥)

وكان اتخاذ احدى هذه التشكيلات يتم عند سماع الايعاز من فم القائد المباشر ، او بقرع الطبول ونفخ الابواق ، او بهز الراية هزا خاصا ، او باعطاء اشارات معينة بواسطة الايدي(٦٦) يمكن ان نسميها بـ (اشارات الميدان) في المصطلح العسكري المعاصر .

ويذكر ان العرب عرفوا ، منذ السنوات الاولى في صدر الاسلام ، نداءات خاصة كانوا يحركون بها جندهم مثل :

١ ـ **السلاح السلاح** :ويطلب فيها ان يتهيأ الجيش للقتال .

٢ ـ **النفير النفير** : ويقصد بها القيام بالهجوم .

٣ ـ **الرجعة الرجعة** : ويقصد بها الانسحاب او التراجع .

٤ ـ **الخيل الخيل** : ويقصد بها امتطاء الخيول لاجراء الهجوم الراكب .

٥ ـ **الارض الارض** : ويقصد بها الترجل والانتشار على الارض .

وقد بقيت هذه النداءات مرعية لمدة طويلة ، واضيفت اليها نداءات اخرى حسبما دعت الحاجة على مر العصور(٦٧) .

الخاتمة

ان انظمة التعبئة التي عرفها العرب ، لم تكن منفصلة زمنيا عن بعضها ، انفصالا تاما ، فقد كانت

---

(٥٨) نفس المصدر .
(٥٩) نفس المصدر .
(٦٠) الجندية ص٢٤٨ .
(٦١) الحياة العسكرية ص٢٥٤ .
(٦٢) نفس المصدر السابق .
(٦٣) معارك خالدبن الوليد ص١٠٢ .
(٦٤) الحياة العسكرية ص٢٥٤ .
(٦٥) الجندية ص٢٤٩ ، الحياة العسكرية ص٢٥٥ .
(٦٦) الجندية ص٢٥٥ .
(٦٧) الجندية ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، الحياة العسكرية ص٢٥٥ نقلا عن تاريخ التمدن الاسلامي ج١ ص١٩٠ .

(التعبئة) هي الاسم الشامل لكل هذه الانظمة ، وكانت تعنى : وضع الجيش في وضع القتال(٦٨)

اومايمكن ان نسميه اليوم بالتكتيك .

والتكتيك : يرتبط بالاستراتيجية ، ارتباط الخاص بالعام ، ذلك لان التكتيك ليس الا تطبيق الخطة الاستراتيجية العامة على جزئيات الاشتباك أو القتال ، والخطة الاستراتيجية لا تتحقق الا من خلال النجاحات التعبوية (التكتيكية) ، ولذلك فان التكتيك يتبع الاستراتيجية لا العكس ، بحكم ان الخاص يتبع العام .

والتكتيك هو علم اكتشاف حركة القوانين الموضوعية التي تتحكم في اعداد وادارة اعمال القتال الجزئي خلال مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطور قوى الانتاج وتقنية التسليح والحماية والحركة (والفكر العسكري) المرتبط بها جميعا ، وهو في الوقت نفسه : فن تطبيق هذه القوانين الموضوعية على الحالات الخاصة والمتنوعة والمتغيرة للاشتباكات والمعارك المختلفة ، اي انه علم وفن في تطبيقه العلمي المتغير ، وهو يشكل مع الاستراتيجية والعمليات ، وحدة عضوية متكاملة ، ولا يختلف عنهما الا في جزئية او خصوصية حقل النشاط الذي يعمل فيه، وحدوده الزمانية والمكانية(٦٩).

ويقينا ان العرب لم يفلحو في فنهم العسكري، لولا براعتهم ودقتهم في وضع النظم التعبوية التي مكنتهم من قهر اعتى الامبراطوريات في العالم القديم .

---

(٦٨) معارك خالد بن الوليد ص١٠٧ .
(٦٩) الموسوعة العسكرية جـ١ ص٢٩٥ .

المراجع المعتمدة

١ ـ نعمان ثابت :
الجندية في الدولة العباسية . الطبعة الثانية مطبعة اسعد ـ بغداد /١٩٥٦ .

٢ ـ جرجي زيدان .
تاريخ التمدن الاسلامي .
مطبعة الهلال / القاهرة .

٣ ـ الدكتور احسان هندي :
الحياة العسكرية عند العرب أو الجيش العربي في الف عام . مطبعة الجمهورية بدمشق .

٤ ـ عبد الرؤوف عون :
الفن الحربي في صدر الاسلام
دار المعارف بمصر / القاهرة ١٩٦١

٥ ـ المقدم ياسين سويد :
معارك خالد بن الوليد .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٢ .

٦ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر :
ا ـ الموسوعة العسكرية ـ الجزء الاول بيروت / ١٩٧٧
ب ـ الموسوعة العسكرية ـ الجزء الثاني ـ بيروت/١٩٧٩

المصـــادر

١ ـ الطبري :
تاريخ الامم والملوك جـ ٢ .

٢ ـ ابن خلدون :
المقدمة .

٣ ـ ابن الاثير :
الكامل في التاريخ جـ ٢ .

WWW.ATTAWEEL.COM